الفلسفة ثانية باك

مفهوم الدولة (المحور الثالث : الدولة بين الحق والعنف)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر
1-2/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
3-2/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : عبد الله العروي
1-3/ النص الفلسفي
2-3/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : نيكولا مكيافيلي
1-4/ النص الفلسفي
2-4/ الأسئلة
3-4/ التصور الفلسفي
V- تركيب
VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

I- الإشكالية

من المألوف أن ننظر إلى الدولة التي تستند إلى القانون في ممارسة سلطتها على المواطنين على أنها تمثل دولة الحق، وأن نعتبر، في المقابل، كل دولة تلجأ إلى القوة وتمارس العنف بمثابة دولة استبدادية تلغي أو تغيب القانون في علاقتها بالمواطنين.

غير أن استقراء الواقع أو استنطاق التاريخ يكشف عن تداخل معقد بين الحق والعنف في تشكيل ماهية الدولة بصورة تبعث على التفكير في ما إذا كان العنف لصيقا بالدولة ومدى ارتباطه أو انفصاله عن الحق.

فعندما نتحدث عن الدولة بين الحق والعنف، فإننا نثير بالضرورة إشكالية العلاقة بين الدولة كأجهزة ومؤسسات منظمة للمجتمع، وبين الأفراد الخاضعين لقوانينها. فإذا انبنت هذه العلاقة على احترام المبادئ الأخلاقية المتعارف عليها والقوانين المتعاقد عليها، فإن ممارسة الدولة تكون في هذه الحالة ممارسة مشروعة تجعلنا نتحدث عن دولة الحق. أما إذا كانت هذه العلاقة مبنية على أسس غير أخلاقية وغير قانونية، فإنها ستكون مؤسسة على القوة والعنف وهاضمة للحقوق والحريات الفردية والجماعية.

- إذن على أساس تنبني الدولة ؟
- هل تمارس سلطتها بالقوة أم بالقانون ؟ بالحق أم بالعنف ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر

2-1/ النص الفلسفي

مشروعية العنف

ماذا نقصد بالسياسة؟ إنها مفهوم شائع بشكل غير عادي، يشمل كل أنواع السلوك المُوَجَّه والمستقل. نتحدث عن سياسة العُمْلَة في بنك، وعن سياسة الصَّرف في البنك المركزي، وسياسة النقابة أثناء القيام بإضراب (...) لَن نعطي إذن لهذا المفهوم مضموناً شاسعاً، بل سنقصد بالسياسة، وبشكل حصري، قيادة تجمع سياسي يسمى اليوم "الدَّولة"، أو التأثير الذي يمارس في هذا الاتجاه. لكن ما التجمع السياسي من وجهة نظر عالم الاجتماع؟ 1 ما الدَّولة؟(...) لا تقبل الدَّولة العصرية أن تُعرف سوسيولوجيا إلّا من خلال الوسيلة الخاصة بها، والخاصة بكل تجمع سياسي، ألا وهي العنف المادّي.

"تقوم كل دولة على العنف"، هذا ما قاله تروتسكي 2 يوما ما (...) فلو وُجدت بنيات اجتماعية لا تعرف العنف لاختفى مفهوم الدَّولة، ولما بقي إلا ما نطلق عليه "الفوضى". غير أن العنف ليس هو الوسيلة العادية التي تلجأ إليها الدولة، وهذا ما لا شك فيه؛ ولكنه وسيلتها المميزة. إن علاقة الدَّولة بالعنف في عصرنا هذا علاقة وثيقة وحميمة. لقد لجأت التجمعات السياسية المتنوعة، عبر تاريخها، إلى العنف المادّي باعتباره الوسيلة العادية لممارسة السلطة.

يجب أن نتصور الدَّولة المعاصرة كتجمع بشري يطالب، في حدود مجال ترابي معين، بحقه في احتكار استخدام العنف المادّي المشروع وذلك لفائدته. إن ما يميز عصرنا، هو أنه لا توجد جماعة سياسية ولا يوجد فرْدٌ، يكون من حقهما اللجوء إلى استخدام العنف، إلا شريطة موافقة الدَّولة على ذلك. تعتبر الدَّولة إذن المصدر الوحيد "للحق" في ممارسة العنف. وبناء على ما سبق، سنشير بلفظ السياسة، إلى مجموع الجهود التي تصدر عن تجمع سياسي ما، للمشاركة في السلطة أو التأثير في توزيعها بين الدول، أو بين مختلف التجمعات السياسية داخل نفس الدولة.

ماكس فيبر، **العالم والسياسي**، الترجمة الفرنسية ،جوليان فروند، بلون، 1959 ،ص: 111-113.

Max Weber, Le savant et le politique.

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ماكس فيبر.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن ماكس فيبر يجيب عنه.

2- أبني أطروحة ماكس فيبر من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ماكس فيبر عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ماكس فيبر وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

يرى عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر أن العنف المادي هو الوسيلة المميزة للدولة، وأنه وسيلتها الخاصة، ويستشهد ماكس فيبر بقول رجل السياسة الروسي تروتسكي الذي قال: "كل دولة تقوم على العنف"، ومضمون هذا القول أنه لا وجود لدولة لا تستخدم العنف، وأن العلاقة بين الدولة والعنف هي علاقة وثيقة وحميمية.

ويرى ماكس فيبر أن الدولة هي التي تحتكر لنفسها الحق في استعمال العنف المادي، أي أنها هي الجهة الوحيدة التي يحق لها استخدام العنف، وأن الأفراد ليس لهم الحق في ذلك. لكن ماكس فيبر لا يتحدث عن كل أشكال العنف، وإنما يتحدث بشكل خاص عن العنف المشروع، وهو العنف الذي لا يتناقض مع الطابع العقلاني والقانوني للدولة.

III- الموقف الفلسفي 2 : عبد الله العروي

1-3/ النص الفلسفي

الشرعية والإجماع

إننا نتساءل هل الدّولة القائمة حاليا تُعبّر عن نشأة مجتمع سياسي 1 أم لا؟ بما أن مفهوم المجتمع السياسي يستلزم مفهومين محوريين هما الشرعية والإجماع، لابد للإجابة أن نبحث في الذهنيات والسلوك، بل في الأجهزة التوجيهية والتأديبية. 2 إن من يبهره الجهاز القمعي قد يحكم على السؤال بالتفاهة ويقول: الدولة اليوم هي الجهاز، كل ما سواه فهو سطحي(...)

لكن كل من يتأمل أحوال الدّولة حالاً ومستقبلا يدرك بسهولة أن الجهاز وحده لا يضمن الاستقرار في عالم تتعدد فيه النزاعات العقائدية وتتحارب فيه الدول بالأجهزة وبغيرها، بل تعتمد فيه على الضغط النفساني والنقد الأدلوجي أكثر مما تعتمد على الحرب الساخنة. كل دولة لا تملك أدلوجة 3 تضمن درجة مناسبة من ولاء وإجماع مواطنيها لا محالة مهزومة. لا يمكن للدولة العصرية أن تعود رمز مجتمع سياسي إلا إذا وجدت أدلوجة دولوية. فهل هذا الشرط متوفر لدينا اليوم؟

إرثنا هو إرث الدولة السلطانية(...)كانت السلطنة دولة القهر والسطو والاستغلال. لم تكن تستوجب ولاء الفرد الذي كان يتولى عوضها الأمة والعشيرة. كانت الدولة معزولة كليا ومرفوضة ذهنياً، حيث كان الجميع ينتظر بزوغ الخلافة أي الدولة الفضلى. فالإرث إذن هو الفصل بين القيمة والأخلاق من جهة وبين الواقع والدولة القهرية من جهة ثانية(...) فهل تتحقق القدرة في غياب كل حق؟

يتفق المفكرون على المعادلة التالية: دولة الحق هي اجتماع وأخلاق، قوة وإقناع. فطالما أمسك المرء بطرفي المعادلة بأخلاقية الدولة وباجتماعيتها، فإنه يعمل على تهذيبها، ومتى تخلّى عن الأخلاق ساعد على توحشها. كلما تخارجت الواقعية والطوبوية تركزت السلطانية، وكلما تقاربت وامتزجت اتجهت الدولة نحو الشرعية.

أو ليست الفردانية نتيجة الاستبداد؟

أو ليست الطوبوية رفيقة السلطانية؟

أو ليس اليأس من تأنيس الدولة إقرارا بدوام القهر والاستغلال؟

عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 1983 ،ص: 148–158

2-3/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه العروي.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن العروي يجيب عنه.

2- أبني أطروحة العروي من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب العروي عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

يعتبر العروي أن دولة الحق تجمع بين ما هو تنظيمي إداري (جهاز) وبين ما هو ذهني و سلوكي أخلاقي (أديولوجية) ، أي أنها تحصل على الصدقية والإقناع بفضل جمعها بين السياسة والأخلاق، بين القوة والإقناع.

لكن الدولة القائمة في المجتمعات العربية لا تعبر عن نشأة مجتمع سياسي، لافتقادها لعنصرين رئيسيين هما الشرعية والإجماع، وهو ما قد يجعلها تأخذ طابعا خاصا يجعل عنفها لا مشروعا وغير مقبول في المجتمع، ويعتبر تسلطا واستبدادا، يفصل الدولة عن المجتمع وعن أخلاقه وعن الحق.

« دولة الحق هي اجتماع وأخلاق، قوة وإقناع ».

IV- الموقف الفلسفي 3 : نيكولا مكيافيلي

4-1/ النص الفلسفي

الدولة بين القانون والقوة

نيكولا ماكيافيل

يعتبر ماكيافيل من مؤسسي الفلسفة السياسية الحديثة. مارست أفكاره السياسية تأثيرًا كبيرًا على رجال السياسة، نظرًا للطريقة الواقعية التي وصف بها السلطة وكيفية تدبيرها. في هذا النص يشرح لنا ماكيافيل الكيفية التي على الدولة أن تمارس بها الهيمنة : إما بالعنف، إو بالقوانين.

«هناك طريقتان للصراع، إما بواسطة القوانين أو بواسطة القوة. فالطريقة الأولى من شيمة الإنسان بينما الثانية من طبيعة الحيوان. ومادامت الطريقة الأولى لا تفي دائمًا بالغرض، فإنه من الملائم اللجوء إلى الوسيلة الثانية. لذلك يجب على الأمير أن يجيد استعمال أسلوب الحيوان والإنسان على حد سواء. وتبعًا لهذا، فقدعمل الكُتّابُ السابقون على تلقين الأمراء هذه المسألة بأسلوب رمزي عندما تحدثوا عن أخيل وغيره من الأمراء القدامى الذين كان يعهد بهم إلى السنطور شيرون ليتولى تربيتهم وتدريبهم على نظامه الخاص. ولا نرى من مغزى لهذه الأمثولة التي تجعل من المعلم نصف إنسان ونصف حيوان سوى حث الأمير على الاستغلال الجيد لكلا الطبيعتين، وتعليمه أن لا حظَّ لأحدهما في الاستمرار بمعزل عن الأخرى.

وحيث إن الأمير ملزم باستعمال أسلوب الحيوان، فعليه أن يقلد الثعلب والأسد معًا لأن الأسد لا يحمي نفسه من الشراك والثعلب لا يقوى على التصدي للذئاب. لذا ينبغي على المرء أن يكون ثعلبًا للتعرف على مكامن الشراك، وأسدًا لإرهاب الذئاب. والذين يتصرفون كالأسود فقط لا يفهمون كُنْهَ هذه المسألة (...)

فلا حاجة للأمير، إذن، لأن يمتلك كل المواصفات التي أوردتها من قبل، ولكن من الضروري له أن يتظاهر بامتلاكها. بل يمكنني الذهاب أبعد من ذلك وأتجرأ على القول بأن الاتصاف بها باستمرار يكون خطيرًا عليه، بينما يكون مجرد التظاهر بحيازتها أمرًا في غاية الأهمية والمنفعة. ومن ثمة، فإنه من الأفضل أن يتظاهر، على الأخص، بالرحمة والوفاء، والإنسانية والنزاهة والتديّن. وله كذلك أن يتصف بجميع هذه الفضائل حقيقة. شريطة أن يحافظ على درجة عالية من التأهب اللازم للتخلي عن كل تلك الصفات والعمل بضدها عند الاقتضاء. وعلينا أن ندرك جيدًا بأنه لا يمكن للأمير، ولا سيما الأمير الجديد، أن يتحلى بكل الفضائل الإنسانية المحمودة، عندما يكون مضطرًا، من أجل الحفاظ على سلطانه، إلى سلوك طريق مغاير للوفاء والإحسان والإنسانية والتدين. ولهذا السبب يجب عليه أن يجعل نفسه على أهبة الاستعداد للتغير حسب مقتضيات الظروف ومجريات الأحداث، وأن لا يمتنع عن القيام بأعمال الخير، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، مع ضرورة اللجوء إلى استعمال الشر عند الاضطرار.»

نيكولا ماكيافيل، الأمير، الفصل الثامن عشر، ترجمة عبد القادر الجموسي، دار الأمان الرباط 2006، ص ص. 93-95.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه مكيافيلي.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن مكيافيلي يجيب عنه.

2- أبني أطروحة مكيافيلي من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب مكيافيلي عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ماكس فيبر وأطروحة العروي.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

4-3/ التصور الفلسفي

يرى مكيافيلي أن على الأمير أن يمتلك خصلتين، إحداهما إنسانية وهي تطبيق القانون والأخرى حيوانية وهي القوة، ولا يمكن له استخدام إحداهما والتخلي عن الأخري، بل عليه أن يناوب وألا يتردد في استخدامهما كلما دعت الضرورة لذلك.

والقوة تنقسم إلى نوعين : الشجاعة والخداع، حيث يجب على الأمير أن يمتلك أو يدعي على الأقل امتلاك خداع ومكر الثعلب، وبعبارة أخرى يجب على الأميرألا يكون صلبا فيكسر ولا رخوا فيعصر.

يمكن القول إذن إن التصور الماكيافيللي واقعي لأن على الأمير ألا يتردد في مخادعة شعبه وغشه، أن يكون دعائيا جيدا لأن هذا الكذب سيعود على الدولة بالنفع، فأكاذيب الأمير تحافظ على الدولة من الفوضى وتؤمن لها الهدوء والاستقرار. كما على الأمير ألا يستعمل قسوة لا فائدة منها، لأنه من الأفضل أن يخاف الناس الأمير من أن يحبوه، أن يخافوه لا أن يكرهوه لتجنب المؤامرات.

V- تركيب

لا يمكن الفصل بين الدولة من جهة، والحق والعنف من جهة أخرى. فهي بهما وبينهما، وتد برهما بما يتلاءم ومصالح المجتمع ومطالب العقل. فالدولة تمارس العنف المشروع باسم الحق، فالعنف وسيلة الحق. ومتى تبع الحق العنف كانت الدولة دولة متسلطة، وافتقدت مشروعيتها وشرعيتها، ومعهما افتقدت الإجماع وانفصلت عن المجتمع، الأمر الذي يجعلها غريبة عنه، ويراها كوحش بارد حسب تعبير "نيتشه".

لهذا فالعنف المبني على الحق هو الذي يجعل الدولة مقبولة من طرف المجتم، لأنها بعنفها المشروع تخلق المجتمع بحمايته من كل أشكال العنف الأخرى.

VI- خلاصة تركيبية للمفهوم

نستخلص أن الدولة مؤسسة أساسية بالنسبة للمجتمع، لأنها تستمد مشروعيتها من غاياتها المتمثلة في تحرير الإنسان من الخوف والفوضى وتوفير شروط العيش وفق ما تقتضيه طبيعة قدراته الجسدية والفكرية، في إطار تعاقد اجتماعي منظم لممارسة السلطة السياسية بطريقة تجمع بين الفكر والعمل، الذكاء والدهاء، الوفاء والخديعة، والاعتدال أو المبالغة.

وبتحقق التوازن بين الحق والعنف يتحقق أساس كل دولة معترف بها حقا، في أفق تأسيس دولة الحق والقانون.